عبد الله خليفـــه

مـاذا تبغين ايتها الكآبة ؟

تاوه باب الزنزانة . جاءتك فرقعة الحديد . اطل بوجهه الخشبي. خبـأ مسدسه فـي معطفه . انزل السيجار بحركـة هادئة ناعمة . انطلق الدخـان ذائبـا .

ـ كيف الحال ايهـا الصديق ؟

تمعن ، اصبحت صديقهم ؟! بدأت بشكل آخر . استهزأ كلمـاتك منك . قبض الريح كلها كلها !

ـ لم انم البارحـة .

ـ المـك الضرب ؟!

ـ لم تجربـه !

ـ بلى ، جربته في مظاهرة !

« لتصدح الالحان . عيدنا في هذه الايام . سنخبط منها الفد. ها هم الاصدقاء يجتمعون في الغرفة العليـا . العجوز تحضر الشاي. نسيت نظارتهـا الصغيرة ،تبحث عنها فلا تجدها .

ـ ماذا تفعلون ايها الملاعيـن !؟

رحنا نخفي القماش والاصباغ . محمد رضا كان اسرعنا . وجهه الطفولي قابل العجوز بكركرة هادئة :

ـ لم تضحك ايها الاشقـر ؟!

تعرفه جيدا . ضحكته مميزة في الحي . شعره علامة صارخـة كالعلم الاحمر . كيف كان شاذا في شعره ، يالغرابة !

ـ يا امي نحن نكتب خطابا غراميا لمحمد رضا !

ـ وماذا اخفيتم هناك ، تحسبونني عمياء ، يا للابالسةالصغار !»

وجهه ينضح بالالم . مثل هؤلاء يتألمون ايضا ؟!

ـ في مظاهرة ، كيف ؟

ـ انت لا يحق لك ان تبحثعن عواطفي ، انا لي الحق فقط !

« حين تناولت السماعة جاءني صوته حادا كالنصل .

ـ انهض ! لدينا عمل مهم جدا !

ـ حالا يا سيـدي .

رمقتني زوجتي . عندما نهضت ، القـت الغطاء فظهر بطنهـا ممتلئـا بوليد غامض .

ـ اين ستذهب ؟

ـ الى العمـل طبعا !

ـ في هذه الساعة المتأخرة منالليل ؟ !

ـ مشاكل كثيرة في البلد .

ـ غدا ستكثر المظاهرات . انا خائفة عليك .

ـ سأحمي نفسي بقوة .

ـ جميع الناس يكرهوننا !

ـ نحن لا نعيش من اجل الناس ، نعيش من اجل انفسنا فقط . سنسحق من يعترض طريقنـا .

ـ انا خائفـة .

ـ سأذهب ، انتبهي للطفل » .

ـ نحن نعرف بعضنا جيدا ياخالد .

تحرك قليلا فبانت رجله اليمنى تزحف في اثر اختها .اعادالسيجار الى فمـه وسحب الدخان بقوة الى جوفه . بدا اكثر ارتياحا . كان الالـم الذي طفح في عينيه غاص في الاعماق .

ـ لعبنا كثيرا وحان وقت الجد .

هذا هو الوقت الرهيب . وقت الجد هذا يفتح ابوابالجحيم .

« ذهبت العجوز واستياؤها . قال محمد رضا :

ـ يجب ان نخفي اللافتات في ثيابنا .

ـ كلا ، الاكياس افضل !

ـ لو وضعنا اللافتات في الثياب لانتفخنا .هذا مضحك !

غضب محمد وحك شعره الاشقر :

ـ سيعتقلوننا لو حملناها معنا . عيون الشرطة كشافات لا تهدأ.. في سوق الخضار المزدحم بالناس ساتعارك انا مع خالد . سيلتمالناس علينا . انتم بدوركمتثيرون الضجيج.وفي لحظةمفاجئة يتحول العراك..

ـ الى مظاهرة !

ـ نعم ، الناس اصابهم بعض الخمول والمدارس مغلقة . كيفيمكن تحقيق اهدافنا بدون نشاط الناس ؟»

دخل شرطي ممتلىء الجسم .ذو شاربين كثيـن .وقف مستعدا لاي امـر .

ـ اربطـه !

جاءك شرسا . اخذ يديك وطواهما وراء ظهرك . اوقفـك امـام الجدار . ربطك جيدا . حبات عرق صغيرة تنمو في جبينه . رائحتـه رائحة رجل جبليعاش طويلا بيـن الماعز .

ـ انزع ملابسه !

ملابسك تكاد تتمزق على يديه . يبدو عجلا . لديه اعمال اكثـر اهمية . اخيرا وقفت عاريـا .

ـ اعترفت بقضايا مهمة وبقيت قضايا اهم ، نريد معرفة كل شيء .

« نسرع في السوق . الحذر ، الخوف ، الشك . الناس كلها تعرفك . انت الذي سوف تشعل المظاهرة في المدينة . انت عضو خلية. الجميع يعرفك . تثرثر في كل مكان . الجواسيس يتبعونك . جميع اصدقائك اخبرتهم بالمظاهرة . التعليمات مشددة.خرقتها . لا انضباط. والان خوف يجتاحك . الان تريد ان تندس عاديا بين الناس ، وانت الذي اردت الوقوف متميزا فوقهم ، كيف ؟ العيون تراقبك وترصدك، لا تتعجل في خطوك . انهم يكتشفونك . الملابس بارزة بشكل لافت للنظر . أحدهم يسأل : اصبحت سمينا هذه الايام ؟ هل هذا اقتراح معقول ؟ محمد شخص لا يفهم ، يريد ان يفرض قيادته فرضا .يتصور انه بثقافته ووسامته وحبيبته سيصبح زعيما . تبا له ولاقتراحاته . لا فائدة من الخوف . لامض بسرعة . ولكن المخبر يلاحقني . يتصنع البحث عن دكان ما . حيلة غبية. يجب ان اتجه في هذا المنعطف . سأضيعه .

والان ها هم الاصدقاء مجتمعون ، كل شخص بمفرده . شق الطريق اليهم . اين محمد ؟ ها هو يأتي اليك . وجهه الوسيم ، ذو الرائحة الفارسية ، مشتاق الى الضرب . يبدو هادئا . انه يبتسم. يبتسم بالفعل في هذا الوقت ! يقترب منك .

ـ كل شيء جاهز ؟

ـ تماما .

ـ اراك مرتعشا مصفرا ؟

ـ لا تتهمني بالجبن يا تافه !

ـ خالد ؟

هجمت عليه دون وعي . سددت له ضربات حقيقية . راح يدافع عن نفسه بلا هجوم . شعره الجميل ، وجهه ، حبيبته ، بدت كلها مثيرة للحنق والبغض . كيف لا امتلك انا كل هذه الاشياء ؟

تجمع الناس حولكما . كانت الضربات موجعة حقا . اذا به يهتف فجاة :

ـ يسقط الاستعمار !

تردد الشعار من أفواه عدة ظهرت اللافتات . وجدت العصي بسرعة. ذعر البعض ،جاء آخرون . انتبهت لنفسك : لم تم اظهر لافتاتي ؟!»

ـ اعترفت بقضايا اهم ، لم لا تعترف عليهم ؟ ! دمرت نفسك ، سوف تسجن عشرين سنة كامله ، استخدمت المتفجرات والسلاح وقمت بالقتل المتعمد مع سبق الاصرار .. كل هذه التهم تلقيك في جهنم ، لن تتردد في استخدام حقنا ضدك .. اذا لم تعترف باسماءاصحابك .. جميعهم ..

ينفث الدخان والكلمات بحنق شديد . الشرطي يتابع حركات يده بانتباه . السوط ينتظر .

ـ اعترف باسماء اصحابك فورا !

« ـ سوف نذهب مع جماعتك الى السوق ، نشم رائحة غريبة..

ـ ما الذي تتوقعه ؟

ـ مظاهرة كبيرة تهز البلد . الهدوء عم الناس ، بعد ان استنفذوا طاقتهم في الحركة والضجيج ، لكن هؤلاء الحمر لا يتركون الامور تهدأ ، سوف يحاولون تأجيج النار الخامدة مرة اخرى .

ـ والاوامر ؟

ـ الضرب بشدة .

سنلجأ الى النار ثانية ،تلك مشكلة كبيرة .

ـ ولكن الا توجد وسائل اخرى ؟

رمقني بحدة . كأنه يقول « أتظهر التردد الان ياتافه !»

ـ لا .

جاءت اللا كطلقة حاده اخترقت رأسي . تذكرت زوجتي الحامل. لو حدث لي حادث في هذا الوقت ؟ آه يجب ان لا افكر في هذه الظلال السوداء ».

ـ لا اعرف .

آه كيف نطقت بهذه الكلمات ، وانت الذي حرقت نفسك ،كيف؟ لا ، لا ، لا فائدة من الصمود . هيا اعطهم جميع الاسماء ،ماذا سيفعلون لهم ؟ مجرد تحقيق ثم افراج، أما انت فسوف تحرقك نار جزيرة السجناء المنهبة عقدين من السنين او اكثر . ستنتهي .يجب أن تدلي باسماء رفاقك علهم يخففون عنك الحكم .هيا ، هيا ، بح بالاسماء السرية والعلنية وفك العقدة .

ـ لا ! .

ـ ماذا تقول ؟

ـ لا ! .

هوى عليك السوط بحدة وعنف . ضربات متتابعة سريعةلا تتوقف مطلقا . البدوي الشرس لم يعجز .يداه تتحركان كالآلة . اين تهرب تجده خلفك تماما . انه يستخدم يديه الآن صفعا ولكمات مستمرة . ها هو يستخدم حذاءه ..

هيا اعترف على الآخرين بعد ان اعترفت على نفسك يا ابله .من في العالم اعترف بهذا الشكل ، من ؟ « نطلق جماعتي . نفتش السوق بحثا عنهم . انهم موجودون في كل مكان .وغير موجودينفي اي مكان. الاسلحة جاهزة . الدوريات تنتظر. اللاسلكي ينتظر .

وظهر الضجيج من مكان لم نتوقعه . سوق الخضار القديمة . آخر محل يمكن ان نتوقع فيه نشوء مظاهرة ..

ـ القيادة ، نرجو ارسال قوات الامن فورا !

ـ أين المظاهرة ؟

ـ في السوق ،عند سوق الخضار القديمة ! ».

ـ ايها الغبي لماذا اعترفت على نفسك فحسب ؟

ـ الذي اعرفه فعلا .

ـ ما اعترفت به سيؤدي بك الى كارثة ، ان لم نساعدك نحن !

ـ تساعدونني ؟!

ـ نعم ، نساعدك .

راح يفك الحبل . قدم لك سيجارا . رحت تدخن بعنف . كانت السجائر كثيرة في الغرفة ، الجميع يدخن بادمان . تفكير دائم في مستقبل البشرية . والان التفكير في الاعتراف وسحق الكرامة .

ـ سوف نخفف الحكم عليك . سنتان او خمس على الاكثر ، وما ان تحل مناسبة هامة حتى نقدم لك المرحمة الجاهزة . ستكون صديقنا في السجن . السجائر ، المجلات ، الراديو ، الفلمان ، ستكون كلها تحت تصرفك ..

يكفي ايها السفاح ، يكفي ايها القاتل ! انتم واجهزتكم وامتيازاتكم ....

« من اين ظهر هؤلاء الرعاع ؟ امطرونا باحجارهم . مزقونا ».

« ها أنت تنطلق مع الجموع ، ظهر الفقراء فجاة . الاسمال البالية ، العرق ، رائحة الارض ،جميعها طلعت بغتة ، تغلغل العمال بينكم ، شقوا السماء هتافا . فهو حي متدفق بالبؤس والقهر . ظهر المغني الاشقر في المقدمة ، اخرج كمانه القديم ، فانبعثت الالحان الهادرة . نغم حاد ينطلق في كل الجهات يمانق الاشجار والطيور والبيوت .

ـ جاءوا !

الرعدة تسري في بدنك . تهتز . تريد آن تجري . سدوا الطريق امامك ، وامتلات الازقة بالهاربين . هيا أهرب معهم ! التعليمات ؟ القها في البحر ! ولكن.. انهم يطلقون النار . الضابط يطلق حقده من مسدسه . اهرب ، اهرب ، لا فائدة من الوقوف . حماقة كبيرة

التصدي لهؤلاء . انهم يزحفون فوق الجثث. الشعر الاشقر انقلب جرحا مفتوحا » .

ـ لن يفيدك احد . الاعتراف سيخفف الحكم عليك .

ـ ما الذي يضمن لي ذلك ؟

ـ لا شيء ، سوى ثقتك بنا .

ـ ثقتي ؟

« انهم يقلعون الباب . فورا الى غرفتك . صمتت العجوز مذعورة . سحبوا زوجتك شبه عارية . يأخذونك من فراشك . القيد. السلاح فوق رأسك . يبحثون في الغرفة عن ادلة . مزقوا فراش العرس . بعثروا الكتب . لم يجدوا شيئا . وقفت الام تبحلق وتبكي بدون نظارتها .

ـ ماذا تريدون من ولدي ؟

ـ اسكتي يا امرأة ، لا تزعجينا .

ـ انا ازعجكم أيها الوحوش الكافرة ! مزقتم ما اشتريناه بعذاب العمر ، كسرتم يدي ولدي ..

انا ازعجكم يا كلاب ، يا مومسات .. انا .. انا .. ؟

ـ اسكتي يا اماه ، دعيهم يبحثون مرة ثانية ، لن يجدوا شيئا.

ـ سنجد ، سوف نجد الجليل بالدليل يؤكد ذلك » !

« اجلسوك تحت الاضواء الساطعة . احضروا الصور ، بقايا العملية . كتب . تقرير قديم ، كيف عثروا عليه ؟

ـ نحن نعرف كل شيء . انت قمت بالعملية . كسرت ساقي ايها المجرم . اخذت المتفجرات الموضوعة في علبة كعلب الصابون ، وزحفت تحت السيارة . كان الحارس نائما . ووضعتها بشكلها المرسوم في هذه اللوحة . انظر جيدا ! نفذت العملية الساعة الثالثة صباحا .. هل هذا صحيح ؟

توقفت الحركة في رأسك . عينا صاحب الوجه الخشبي تسعنان. اصابعه تدق الطاولة بهدوء وثقة . زجاجة الحبر كمحيط هائل . سيقتلعون اظافرك . سيسلخون جلدك . يعرفون كل شيء . هل هذا صحيح ؟ حدثت خيانة ولا شك . خيانة اودت بك . تآمروا عليك .خيانة هائلة سوف تبتلعك الان . هذه اللحظة : هيا استسلم . الاصابع العيون . المسدس . المحيط الازرق . الخيانة .

ـ نعم .

نطقت بالكلمة وابتلعتك نيران الجحيم . اين ذهبت اللا ؟ تعودت على اللا ، عشت منها ، كيف خرجت هذه اللفظة الزانية « نعم » ؟ »

ـ هل كان رائعا قتلي أيها المجرم ؟! قمت بعملك البطولي واعترفت . اصبحت في نظرنا قحبة .

ـ لست رجلا مطلقا . سنبصق عليك . اعترفت وانتهيت . فما فائدة الصمود الكاذب في نصف الطريق . هيا بح باسماء الكلاب الذين يناموا ملء جفونهم . هيا والا عدنا الى الضرب والسجائر ..

آه يا آلهة الجحيم كيف سأمضي هكذا معلقا في الفضاء ، بين السماء والارض ، الجميع يبصقون في وجهي ، يريدون المزيد من الاعترافات ، لا يشبعون مطلقا .خنت القضية . هل آمنت بها حقا ؟! اعترفت . كيف اهرب من الاعتراف . تلاحقني لعنة وحشية تأكل لحمي ودمي . بصفات طفل .هل استطيع ان ازيل الدمل واقصه من جذوره بسكين لا تشبع من اللحم ؟

« جاءوا بجثته . شعره الاشقر يزهو في الطريق علما احمر يقود نحو غاية بعيدة . (هل سيصلون اليها ؟) احضره الناس . الجمع الغفير استحال ربابة حزينة . بكاء ونحيب وكلمات زاهية وبائسة. هل رأيت خطيبته ؟ الافل منه وسامة وجمالا ؟ الصامتة الخجولة ؟ المزقة الثياب ؟ التي كانت تعض اصابعها وتأكلها ؟ الذابلة العجوز فجأة ؟ المجنونة بين المقابر فجأة ؟هل رأيتها ؟ انت رأيتها . رأيت الحب ينبض بالدم والجنون . غصت في وحلك ايها الجبان . سرت في الطرقات تعزف اغنية لم يفهمها احد . سرت وانت تشق صدرك . انت تحبها في الحياة والموت والجنون . ظهرت بذرة السوء .حاولت ان تسحقها ، تلقيها بعيدا . ظلت تنمو وتزرع . غدا القتل فرصة ذهبية لك . الوجه الطفولي الرائع غاب ففرحت . جاءتك الاحلام ـ الكوابيس . انها لك . الهرب اعطاك اياها . خذها ايها النذل . ضمها فوق جثته . ابك بين الجموع وتصنّع الحزن . مثّل جيدا . تعلق خلف صورته ..» .

ـ لن اعترف . افعلوا ما تشاؤون بي .لست سوى جثة هامدة .

ـ نعرف ذلك . ولهذا نحن نريد ان نجعل هذه الجثة تدلي ببعض الاسماء ، الاحياء لا يعترفون يا صديقي ،ولكن الاموات ..

« عندما دخلت وجدت زوجتي مذعورة .

ـ الخدم حاولت قتلي !

اصبت بفزع شديد .

ـ اين ذهبت ابنة الكلاب ؟!

سقطت على صدرك .

ـ سيقتلوننا . يجب أن نهرب .

ـ ماذا تقولين ؟! نحن في امان هنا . لدينا اسلحة وحرس. اطمئني .

ـ انهم يريدون تمزيقنا . لا أحد يحمينا هنا . الباعة ، الاطفال ، النساء ، المراهقون ، جميعهم يريدون اكلك بنا . يجب ان نرحل .

ـ تعالي هنا . تعالي هنا. يجب ان تستريحي .لا تتعبي طفلنا .

جلست وهي ترتعش .

ـ ماذا فعلت الخادم ؟

وجهها شاحب فاحل . موت مخيف يزحف نحوها .

ـ عندما كنت نائمة شعرت بشيء يخنقني . كدت اموت . كان طفلي يبكي بشدة . بقوة استطعت ان ازيح الوسادة التي وضعتها المرأة على وجهي . اخذت دفعة هائلة من الهواء . المرأة اندفعت بقوة نحو الباب . لو كانت اقوى لقتلتني المجرمة . آه !

انخرطت في كاء حاد .

ـ لماذا قتلت هذا الشاب ؟ لماذا ؟ كان جميلا ، جميلا ! لم يعد على احد . كان طيبا. قتلته ! آه يا الهي نحن الوحوش احياء نرزق ، لم ، لم ؟ »

ـ اخبرنا بالخلية التي نفذت العملية . الرصد . المساعدة .

هيا ادل باسمائهم وارح نفسك من هذا العذاب . لست بطلا ، مجرد خرقة صالحة لمسح الارض القذرة .هيا اذكر الاسماء العادية لثلاثة من الحمقى الاخرين !

« الليل يقدم . وها هو الصبح يقترب . وانت تمضي الى العمل الذي لم تفهمه .

ـ سوف ننتقم لرفيقنا وشعبنا .

ـ هذا عمل جبار !

ـ سوف تنفذه انت !

ـ انا ؟ انا ؟؟

ـ نعم انت . صديقه العزيز . يجب ان تنتقم ..

ـ ....

ـ انت اصلح رفيق في المنطقة ، جسميا ونفسيا وسياسيا .

ها هي السيارة تربض تحت العمارة . الحارس نائم . ازحف ازحف . حتى تدخل تحتها .لم ترتعد ؟ آه اين الاسلاك ؟ القفاز لا يفيد هنا . يجب أن تخلعه . ستكون كارثة لو لم تنفجر . البصمات. هيا لا فائدة الان من التردد . هل هذه حركات الحارس ؟ آه انه نائم. وثقوا بي . سأرتفع في عيونهم جميعا . سأنتقم لمحمد وانقذ هذا الضمير المتعفن » .

جاء الشرطي ثانية . سوطه لم يزل ينتظر .

ـ الن تواصل اعترافك يا حقير !

« ـ لا تخافي ، سوف نذهب من هنا .

ـ اين ؟ اين ؟ كل هذا البلد مقبرة لنا .
ـ ماذا افعل اذن ؟
ـ اترك هذه المهنة !
ـ ماذا ؟ اترك المهنة التي نقلتنا من الحضيض الى القمة ؟! ولم، من اجل وساوس امرأة مخبولة ؟! لن افعلها مطلقا ، مطلقا !
كدت اكسر كوب الشاي . نظرت اليّ بوهن وحزن .
ـ نقلتنا من الحضيض الى القمة ؟ قل نقلتنا من الكرامة الى الدناءة والاجرام .
ـ ماذا تقولين يا امرأة مجنونة حمقاء ؟! اسكتي ، لا اريد سماع هذه الكلمات منذ الصباح الباكر ..
سكتت وهي تبكي . قمت نحوها ، اخذت رأسها بين يدي .وجدت عينيها تنامان في غابة محروقة ، اطفالها قتلى وزهورها اقاع .
ـ سأذهب ..
تناولت مسدسي . اخذت مفكرتي . سقطت صورة على الارض . كدت انحنيها . حين تناولتها وجدت امي تناديني . وجهها الكئيب يعانقني . معالم قبر امي اضعته . وضعتها ثانية .
اغلقت الباب.جاءني الصباح متجهما . الحارس اسرع الى تحيتي. عيناه هادئتان .
ـ اجلس هنا ، لا تبارح المكان .
ـ حاضر يا سيدي .
السيارة باردة . يجب ان ابحث لها عن مكان تنام فيه . سيمزقها الظل . عندما ادرت المفتاح ، وملأت السيارة بالبنزين جاءني الاعصار من الاسفل . دوى .ألم .نار . دم .»
« السيارة تحملك الى الموت . ماذا حدث فعلا ؟ هل اكتشفوا العلبة ؟ بصماتي ستكون هناك في انتظاري . لا شيء لافت للنظر . ماذا ستقول الام الان ؟
عندما وضعت اولى قدميك جاءك صوت الام فرحا :
ـ قتل السفاح يا ولدي !
اعظم بشرى ، انجزت عملك العظيم . انتهى القلق الذي نخرك في العمل . انت من الخالدين . ارقص هنا واشرب نخب النصر. الام لم تستغرب هذه القبل . المطر . راتك تتسلل خفية .تحمل ادوات الموت والربيع القادم.
ـ ماذا تعمل في هداة الليل ؟
ـ ازرع الموت .
تأتي الزوجة . ترفعها . تحضنها .لا تسعك الفرحة . أين تقبلها ؟ دعوني ، دعوني ارقص نخب الفرحة العارمة .
ـ لم يقتل السفاح فقط ..
ترمقها بعجب .
ـ من ايضا ؟
ـ زوجته .
ـ زوجته ، ماذا اصابها هي الاخرى ..؟
ـ لقد نزلت حينما سمعت الانفجار . جاءت مذعورة عارية .بطنها المتلىء يتقدمها كالكرة الكبيرة . راحت تبحث عن زوجها . الحارس وقف مذعورا يحرس السفاح . حين التم الناس في ثوان ضربوها ضربا مبرحا . ان لم تمت فسوف يخرج طفلها جثة هامدة .
اصفر لونك فجأة . غاب الفرح .
ـ ما اقسى الشعب في انتقامه !)
ـ سوف تحضر زوجتك لتراك وتقرأ اعترافاتك !
ـ لا !
بدت اللا حادة عنيفة هذه المرة . ستبصق فوقك من صورت نفسك امامها بطلا مقداما ، ستظهر حقيقتك بشعة كالجماجم.انطاق في اعترافك ضدهم جميعا ، جرهم الى وضعك ، لا شيء يوقف الخيانة، الخيانة محيطك يبتلع القارات دون رحمة . ها قبل ان تراك وتضربك على وجهك بحذائها .

ـ ماذا تقول ؟
ـ لا !
ـ ثانية ؟ تتصنع الشجاعة . سنمزق وجهك امام اصحابك ..
اشار للشرطي فالبسك ثيابك الداخلية بسرعة . قيدك ثانية غاب عنكما .
« كانت جالسة في غرفة النوم تنتظر . دخلت عليها باكتئاب . اطفأت النور . غدوت شبحا مخيفا امامها .جلست على السرير ونزعت ملابسي وقدمي الصناعية . زحفت نحوها . كانت شاحبة وحزينة.
ـ هل سنخلق طفلا جديدا ؟
ـ نعم .
ـ الن يقتلوه ثانية ؟
ـ انزعي هذه الافكار القاتمة .
ـ وجوههم تلاحقني . وحوش مفترسة !
ـ لن يقضوا على رغبتنا .
ـ ولكنهم سينتصرون !
ظهرت مخاوفي على لسانها . نطقت بها . « سينتصرون » هذه الكلمة المخيفة التي تؤرقني اذن .
ـ نعم ولكن بعد فترة طويلة جدا . انهم يحيون بنواقص كبيرة ، وحين نقضي على عقلهم المفكر ، تنظيمهم ، سننام بهدوء . يجب ان نصمد .
حاولت ان تتكلم لكني اغلقت فمها ، رحت التهمها واشرب من نبعها بلا توقف .
ـ ها هي يا سيدي !
دخلت قلبك وغاصت نصلا لا يعرف المساومة . عينان تبكيان بصمت ، ووجه صارخ صامت .
ـ ها هو زوجك جثة نتنة ، يتفق مع صديقك الاشقر في الموت الان !
تطالعك والشرطي يمنعها من الاقتراب .
ـ اعترف بارتكابه الجريمة !
ـ اية جريمة ؟
قالتها بارتعاش .
ـ محاولة اغتيالي يا منحطة .
ـ تسميها جريمة !
اجتاحه غضب هائل :
ـ انظري اليه لا اليّ ، انظري الى الخائن الذي اعترف وانهار كالمرأة . انت الفتاة صمدت لكن هذا الرجل المقاتل تحول الى حذاء مهتريء ، ابصقي عليه !
وجهها كالحجر . كيف اصبحت هكذا ؟ هل هو الحب ؟ هل هو الحمل ، البطن المتلىء بذكرى والواعد بالغد ؟ هل هي الكلمات العظيمة ، ليالي الكتابة والفرح والموسيقى والعمل اليومي الدؤوب ؟ كيف غدوت امرأة من نار فجأة ؟ هيا احرقيني فلست سوى خرقة . قملة . ذبابة تزعج الثور في حقله . حوليني الى تراب وسماء ابتها المرأة القديسة !
« دخلت المنزل بشوق كبير. وجدت الاضواء مطفأة . ماذا حدث؟ حين اعدت الضوء الى المكان الكئيب وجدتها على الارض . قطعت شرايينها وبلعت كمية كبيرة من الحبوب . وجهها ازرق ، وعيناها مشنوقتان . الشعر الاسود الفاحم اصطبغ بالدم .
حين انتبهت وجدت الصباح طالعا كالحريق » .
ـ اطردها !
ـ لن تنقلب علينا !
اخذها الشرطي بعنف وهي تحدق في وجهك .كأنها لعنة وذكرى حب مريرة وامل ينمو بين الجثث .
ـ ساحضر مرة ثانية ، فاستعد !
اغلق الباب المتاوه وعاد الصمت .